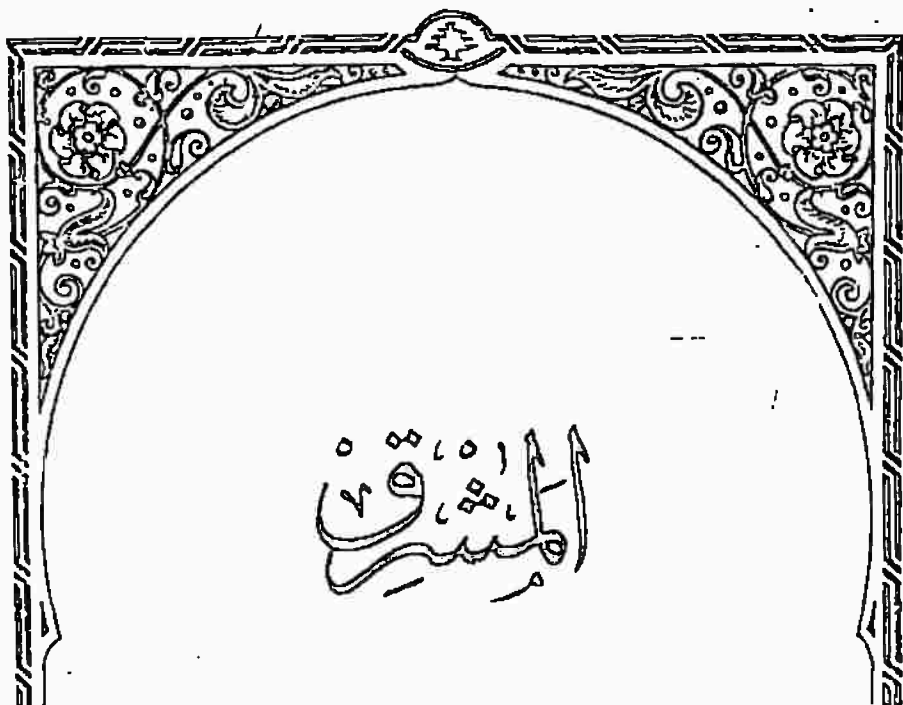




السنة الخامسة والأربعون

٢٩ - شباط ١٩٥٢

محمّد

لقد كانت السنة الماضية موضوع نشاط مشر لمجلتنا لاقى لدى الجميع استحساناً جليلاً منه التهاني الحارة . ونحن نجابو على هذا بنشاط جديد فنطلع « بالشرق » مرة كل شهرين وهكذا نكون أكثر اتصالاً بقرائنا .

زيد من هذا ان نفتح المجال اوسع ليس فقط لدى علمائنا الشرقيين ورجالتنا المثقفين ، بل لدى عدد اوفر من العلماء الاوروبيين الذين سيجدون عندنا المقالات والبحوث القديمة وسنوفر لهم مكاناً ينشرون فيه دراساتهم بلغتهم الاصلية ، عندما تقضي الحاجة .

ان مؤتمر المستشرقين الاخير الذي انعقد في اسطنبول اظهر لنا تقدير الباحثين في امور الشرق لمجلة « الشرق » وللخدمات التي تؤديها لهم . وفي هذه المناسبة زفغ شكرنا واحترامنا لكل الذين اشرفوا على ادارة هذه المجلة منذ تأسيسها ونعرب لهم عن تقديرنا لجهادهم المستمر المخلص . وما علينا الا ان نتابع نهج الحطة الموروثة .

✦

ان المبادئ التي لفتنا اليها نظر القراء في السنة الماضية نجد اليوم عندنا تطبيقاً عملياً .

فالمشاكل المتنوعة والمعضلات التي يتخبط فيها الشخص البشري تتطلب حلاً ملائماً على ضوء هذه المبادئ التي ذكرنا . فهذا ما يدعو اليه الوجدان ويقضه شيء من التبعة الانساني لحاجات الآخرين .

لن نكون منطقيين الى درجة تجعلنا لا نتأثر آلا بالاحصاءات وحدها . فان هنالك حقائق تفرض ذاتها فرضاً وعرض ان ندايها بشيء زهيد من الرفق والاحسان يسكن الضيق الى وقت ، علينا ان نجد الدواء اللازم في العدالة وفي شرائعنا : عدالة في تبادل العلاقات بين الناس ، عدالة في توزيع الخيرات التي ليست سرى ودائع اوقتنا عليها لنساهم في تقدم المجتمع الانساني ورفقه ، عدالة في إشراك العامل او ممثل العامل بادارة العمل ، عدالة في السهر على راحة العامل المادية والروحية معاً ، في السهر على الفقير وعائلته المعوزة ، في السهر على تهذيب اولاد العائلات البائسة ، عدالة تعطي الانسان المحروم من خيور الارض ، تعطيه معنى لانسانيته ورغبة في ان يعيش محافظاً على مكانته .

مشكلة العامل عندنا هي مشكلة الفقر المدقع مع نتائجه . وانها لصداجة ان نحصرها في هذا فقط . ولكنه الواقع يجعل حالة العامل عرضة للانهيار . فهذا العامل الزهيد الاجرة ، الذي عليه ان يجابه حياة صعبة واسعاراً متصاعدة

كل يوم ، والذي ، في لبنان ، يُحِبُّ ان يعيش في مجبوحة ، تعوزه مع عائلته الطائفة المادية والادبية .

وما علينا الا ان نلقي نظرة واعية على ضواحي بيروت لندرك الفقر المسيطر بين ارجائها . ومع ذلك فلا يحق لنا ان نمنع الاهل عن التناسل ، في مصلحة الامة . ومع ذلك فهؤلاء الاولاد ذور الاطوار البالية لهم حق بالحياة . وليس على ثمر الحياة ابتسامة وعد لهم . لقد فتحت الحكومة مدارس مجانية لتسهل على الاولاد من كل الطبقات اقتباس شي من المعرفة ولكي تكافح الامة والجهل . ولكن بقي على رب العمل ان ينظر نظرة جديدة ، ليس فقط نظرة كافية ، الى الظروف الصعبة لا بل المرجحة . فهناك اولاد يشتغلون اثنتي عشرة ساعة في اليوم . فماذا يُرجى من اولاد كهؤلاء . عندما يشبون ؟ فانهم يكونون قد فقدوا معنى الكرامة البشرية ومعنى كرامة العمل ذاته .

فاذا لم يكن العمل سوى ضريبة لا سبيل الى الحياة بدونها ، خلق عند العمل حتى وعند الاولاد هذه العقلية الثورية التي ستصبح عاجلاً او آجلاً شوك يتألم منها الجميع .

واذا امتناً البصيرة في الاجرة التي تعطى لهؤلاء الاولاد نجاهها اقل من زهيدة . وبصعوبة كلية تستطيع احياناً ان تكفي حاجات الاسبروع او تكفي الطبيب الذي تستدعيه امٌ مريضة او والدٌ عاجز . فالوالد اذاً يرسل الى العمل اولاده وهم بعد اطفال ليقدر ان يسد الحاجات العديدة التي تتطلبها عائلته الكبيرة العدد . أليس في هذا شذوذ ؟ فان العامل ايضاً له الحق المقدس ان يعيش في جو من الفرح والهدوء الداخلي ، وان يسكن في موطن طائفة وراحة يستطيع ان ينظر الى الحياة بغير عين الجريح . التأثير على الحياة .

نحن لا نزعّم ان تحويل المجتمع الى طبقة واحدة امر مستطاع . فهذا مستحيل

وهذه ليست فكرتنا بل هو وهم الشيوعيين الباطل . فهذا التساوي الذي يرمون اليه معناه وضع الطبقة المسودة على ذات القدم مع الطبقة السائدة وبالوقت ذاته جعلها سائدة بدورها وهكذا نعود الى المشكلة عينها ، مشكلة المراك بين الطبقات . واطن ان هذا المراك لن يستعصي الى هذا الحد الظاهر اذا تفهمت الطبقة المثرية واجباتها الاجتماعية وادركت معنى الملكية ومعنى الثروة . لا اقصد من وراء هذا ان على الغني ان يتصدق على الفقير . فهذا الحل إن هو الا حلّ عابر لا يدوم . بل اعني ان الغني يتوجب عليه ، من حيث غناه ومن حيث الثروة التي بين يديه ومن حيث الواجب المقدس والوجدان ، يتوجب عليه ألا يستعمل ثروته كما يشاء ، بل ان يشرك فيها الجماعة البشرية حيث يعيش . فطليه ، لانه غني ، ان يساهم في إغناء مجتمعه . وعلى الغني ، ان يدرك هذا بالتفاهم مع الفقراء الذين هم عندنا العدد الاوفر قبل ان يجعل الفقر والادقاع حاجزاً بين الطبقتين ، حاجز حقير وبقضاء لا تحصى اثارها .



يجب ان يكون العمل واسطة لجمال الانسان انساناً حقاً . وكثيراً ما يكون العمل ، كما ذكرنا ، واسطة لفقدان الانسانية من الانسان ومع ذلك فبالعمل يستطيع الانسان ان يبرهن عن قدرته وقرته الخلاقة مساهماً مع الخالق الاوحد في تجميل وتحيين الخليقة التي أقيم عليها سلطاناً . وانه مستحيل ، مهما صغنا ، ان نعطي العمل ونجبه الانساني اذا لم يجد الانسان في العمل استكفاء وقبولاً . ولن نجد عما طالما يشغل العمل الباطل على مناكبه وطالما لا يأتيه بلذو ومحبة وشوق . لا اقول بنزع كل حرمة وشدة عن العمل . فان سنة الحياة تقضي بذلك على كل عامل في أي عمل كان . ولكن العمل الذي لا بدع للانسان فرصة يتأمل فيها بذاته ، العمل الذي يستبد الانسان هو هذا الذي

انتقده لأنه يوجد عندنا في لبنان . فالعمل الذي لا يرفع الانسان ولا يعطيه الوقت والقوة ليحول المادة ويخضعها ، العمل الذي يفرق الانسان ويدوبه ويمنع عنه التدقّق بجبال قوته الخلاقة التي يُظهرها مراراً عديدة في النهار ، هو هذا الذي انتقده . فالعمل الذي يتزع عن العامل كل معنى للمسؤولية ويفقده كل لذة بجعل ما يعمل ، هو هذا الذي انتقده ، وهو هذا الذي نحمده احياناً في لبنان .

فالعامل الذي لا يؤمن وبالوقت ذاته لا يؤمن للعامل قوت غده ، العمل المتحرر من كل رابطة ، الذي يسح لنفسه ان يطرد العامل قبل ان يحق له التعويض ، هو هذا الذي انتقده . فهذا العمل يجعل الانسان في قلق مستمر على غده . أمن العدل ان يعيش الانسان في هذه الحشية المتراصلة والحلوف الدائم من شبح البطالة التي تهدد ايامه ؟ فكيف يتهرب القانون والشرعية عندنا من الاجابة على هذا السؤال ، ان مصير العامل المسكين في هذا الجواب . وهذا ما يقوله البابا بيوس الحادي عشر في براءته المشهورة « Quadragesimo anno » : « خلافاً لاهداف العناية الالهية ، يميل العمل الذي ، إنّا أعد ، حتى بعد الخطيئة الاصلية ، لاسر بالانسان ادياً ومادياً ، اتد اصبغ هذا العمل يميل ، في ظروفنا ، الى ان يحير واسطة للحط بالانسان . فالمادة العجيبة تخرج من المصنع مشرقة سامية ولكن بعد ان تكون حطت بالانسان وافسده » .

وعلى هذا الاعتبار اريد ان انهي تمهيدي هذا راجياً ان اكون لفت نظر رؤسائنا واصحاب مشاريعنا لفترة كافية الى مشكلة لم يكونوا ليجعلونها ؛ انما هي تطلب حلاً عاجلاً وعادلاً . ترى هل تحمل الينا هذه السنة الطالعة بشرى التحسينات في عالم العمل المتزوع ؟ ما علينا الا ان نأملها . فالعالم ، كما قالوا مراراً ، يتخض متألاً من انقلابات جبارة عتيدة ، وسوف يلد عنصراً جديداً . فاعاه يكون هذا العرق الجديد ؟

ان هذا المنصر العتيد سيكون عنصر الاخوة ، عنصر المدينة الجديدة حيث تتعاقد الايادي الاكثر ابتعاداً وتجاهلاً ، حيث يتأشى الناس اجمعين اخوة اصدقاء . وسيكون الكل ، الحبيب والمهمل والمردول والفني ، يداً واحدة في بناء هذه المدينة . وغداً ستعرف كل كفة أنها ، على حقارتها ، تبني عمارة الاخاء في كل نقرة ازميل على صلابه حجير .

وهذا الاخاء وحده سيكون حلاً لكل معضلاتنا الانسانية ومشاكلنا الاجتماعية . وعبثاً نحاول ان نجد حلاً غير هذا في غير هذا الاخاء .

الاب اغناطيوس عبده فليفه اليسوعي

